مطرانيــة الأقبــاط الأرثوذكــس
لمركزي مغاغه والعِدوة - بمغاغه

بشائر هامة ، يحملها إلينا ، عيد الميلاد المجيد ، هذا العام

مقدمة :

تعيد كنيستنا المقدسة ، هذه الليلة المباركة ، بعيد الميلاد المجيد . فلذا أتقدم إليكم أيها الأحباء ، بخالص التهانى القلبية بهذا العيد .

طالباً لكم فيه من الله ، بأن يجعل هذه المناسبة العظيمة ، سبب بركة وخير وسلام لكم جميعاً ، ولوطننا العزيز مصر ، وللعالم أجمع .

كما أننى أطلب بصفة خاصة من الله ، لكونه الطبيب الشافى ، والذى في يده العلاج ، متوسلاً إليه نظير رحمته غير المحدودة ، والمتجددة كل يوم ، بأن ينعم على المصابين بوباء كورونا ، بالشفاء العاجل والكامل ، وأن يريح أنفس الذين انتقلوا أو ماتوا في مواضع الراحة في فردوس النعيم .

ويهبنا هبة من خيراته الكثيرة ، التي دائماً ينعم بها علينا ، وذلك برفع هذا الوباء عنا ، وعن وطننا وأخوتنا واخواتنا المصريين وعن البشرية ككل بصفة عامة .

أما عن موضوعنا في هذا العيد وهو :

بشائر هامة ، يحملها إلينا ، عيد الميلاد المجيد ، هذا العام .

بلا شك يا أخوتى أن ميلاد المسيح ، وما صاحبه من نبوءات ورموز وظهورات ، ورسائل عديدة ، يكشف عنه أنه حدث كبير ، أهتمت به السماء والأرض ، وله أهداف روحية هامة ، قام بها المسيح للبشرية ، ومازال يقوم .

ففي مقدمة البشائر الهامة ، التي يحملها إلينا ، عيد الميلاد ، هذا العام هو :

١- قدرة الله ، واستطاعته على كل شيء .

وهذا يتضح لنا من بشارة رئيس الملائكة جبرائيل ، للسيدة العذراء مريم ، وذلك لحبلها وولادتها للمسيح .

فاستغربت العذراء من هذه البشارة لكونها عذراء ولم تتزوج بعد ، قائلة للملاك : ((كيف يكون هذا ، وأنا لست أعرف رجلاً ؟)) (لو ١ : ٣٤) .

فأجابها الملاك : ((الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك ، يدعى أبن الله)) (لو ٢ : ٣٥) .

فنفهم من أجابه الملاك للعذراء ، بأن حبلها تم بواسطة الروح القدس ، أي روح الله القدوس ، حل على العذراء مريم ، وطهر دماءها ومستودعها ، أي رحمها ، من الخطية الجدية أو الأصلية أو الوراثية ، وأخذ من دماءها المطهرة ، وأعد ناسوتاً للمسيح ، أو أعد انساناً كاملاً جسداً وروحاً ونفساً ، خالياً من هذه الخطية . ثم حل أقنوم الكلمة أي السيد المسيح لآهوتياً ، وأتحد بهذا الناسوت أو بهذا الجسد ، في أحشاء العذراء ، منذ اللحظة الأولى للحبل الإلهى ، دون انفصال إلى أبد الأبدين .

وبهذا الوضع ، يختلف المسيح عن جميع البشر ، من جهة الحبل والولادة به ، وهذا لعدة جوانب :

أ - الجانب الأول يرجع إلى حلول الروح القدس ، على أمه العذراء مريم ، وذلك لتطهير دماءها ومستودعها أى رحمها ، من الخطية الجدية أو الأصلية أو الوراثية ، لكى يأتي المسيح خالياً من هذه الخطية . أما عن جميع البشر

حبلى بهم وولدوا ، وهم يحملون هذه الخطية ، كما قال داود النبى في المزمور : « هأنذا بالآثام حبل بى ، وبالخطية ولدتنى أمى » (مز ٥١ : ٥) .

ب - وفى الجانب الثانى ، أتخذ روح الله القدوس ، من دماء العذراء مريم ، المطهرة لهذا الغرض ، وأعد ناسوتاً أي إنساناً كاملاً لله الكلمة ، بدون زرع بشر ، وخالياً من الخطية ، ومعصوماً عنها . أما عن جميع البشر ، حبل بهم وولدوا بواسطة زرع بشر ، وهم يحملون هذه الخطية ، وغير معصومون .

جـ - ومع ذلك يختلف المسيح عن البشر ، في الحبل والولادة به ، من جهة أن المسيح حل أقنومياً أو لاهوتياً ، وأتحد بالناسوت أو الجسد ، في أحشاء العذراء ، الذى أعده الروح القدس مسبقاً لهذا الأمر ، وولد متحداً بهذا اللاهوت ، ليس كإنسان فقط ، بل الله الظاهر في الجسد : « عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد » (١تى ٣ : ١٦) . أما عن جميع البشر ، يحبل بهم ويولدوا كبشر فقط لا غير .

بالتالى لأجل هذه الجوانب أو هذه الاختلافات ، دعى المسيح في الحبل والولادة به : « بالأبن الوحيد » (يو ١ : ١٤ ، ١٨) ، (يو ٣ : ١٦) . أو بالحبل والولادة المعجزية ، وهذا واضح من نبوءة أشعياء النبى القائلة : « يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد أبناً ، وتدعو أسمه عمانوئيل » (أش ٧ :١٤) .

ومن هنا نستطيع أن نقول ، أن الحبل بالمسيح والولادة به ، تظهر قدرة الله واستطاعته على كل شيء : « غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله » (لو ١٨ : ٢٧) . هذا ما يؤكد عليه ، أيوب الصديق بقوله : « علمت أنك تستطيع كل شيءٍ ، ولا يعسر عليك أمرٌ» (أي ٤٢ : ٢) .

ومع ذلك قدرة الله ، واستطاعته ، على كل شيء ، لم تتوقف عند جانب الحبل والولادة بالمسيح ، من العذراء مريم ، بل تمتد إلى كل نواحى أعماله الإلهية تجاه خليقته بصفة عامة ، ونحونا كبشر بصفة خاصة ، ولكن هذا يحتاج إلى إيمان منا بقدرته ، واستطاعته على كل شيء ، ولذا قال المسيح : « كل شيءٍ مستطاعٌ للمؤمن » (مر ٩ : ٢٣) .

من جانب آخر ، يؤكد ميلاد السيد المسيح ، بأن :

٢- « لكل شيء زمان ، ولكل أمرٍ تحت السموات وقتٌ » (جا ٣ : ١).

لأن عند الله ، لا يوجد شيء أو أمر ، يتم بدون أن يكون له زمان وتوقيت . بالتالى جاء المسيح في الزمان والتوقيت المحدد والمناسب لمجيئه كما أشار الرسول بولس : « لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله أبنه ، مولوداً من أمرأه تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس ، لننال التبنى » (غل ٤ : ٤ – ٥) .

فبالرغم من الله وعد بمجيء المسيح الفادى والمخلص ، منذ سقوط أبوينا الأولين آدم وحواء في الخطأ والتعدى ، ألا أن هذا الوعد الإلهى ، لم يتحقق ألا بعد كتابة النبوءات والرموز والظهورات ، ووجود السيدة العذراء مريم ، الأم المناسبة روحياً وجسدياً ، بأن تكون اماً لله الكلمة ، والتي حبلت به في أحشاءها ، وولدته في بيت لحم مخلصاً لكل العالم ، كما بشر الملاك الرعاة : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب . أنه ولدلكم اليوم في مدينة داود ، مخلصٌ هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ – ١١) ، (يو ٤ : ٤٢) ، (أع ٤ : ١٢) .

وهكذا كل طلباتنا واحتياجاتنا ، وحلول مشاكلنا ، ورفع المحن والأوبئة الخاصة والعامة عند الناس والحيوانات وبقية خليقته ، التي نطلبها من الله ، ينظر فيها ويتدخل ، بموجب ، أن : « لكل شيءٍ زمان ، ولكل أمرٍ تحت السموات وقتٌ » .

ومن بشائر عيد الميلاد ، هذا العام ، والتي تعطينا رجاء ، ونحن في عمق أزمة وباء كورونا التي تمر علينا ، وهى :

٣- وجود الله معنا .

وهذا ما قاله ملاك الرب ، ليوسف البار في أزاله الشكوك عنه ، التي كانت تراوده خاصة بحبل العذراء وولدتها للمسيح : « هذا كله كان ، لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل : هوذا العذراء ، تحبل وتلد أبناً ، ويدعون أسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٢ -٢٣) .

فعيد الميلاد المجيد ، يذكرنا بوجود الله معنا ، في كل مكان وزمان ووقت ، حسب وعده الصادق : « ها أنا معكم

كل الأيام ، وإلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ١٩) .

أما عن تعرضنا لهذه التجربة أو هذه المحنة أو غيرها ، هذا لا يعنى أن الله يتخلى عنا ، بل يقف معنا أكثر من أي وقت سابق ، لكى نستطيع المواجهة والتحمل ، ويعطى المنفذ أو المخرج منها ، كما أشار الرسول بولس : « الله آمين ، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوا » (١كو ١٠ : ١٣) .

إضافة إلى ذلك ، ميلاد السيد المسيح ، كان ولا يزال سبب :

٤- فرح وابتهاج وخلاص لكثيرين .

وذلك منذ بشارة الملاك لأمه العذراء ، بالحبل والولادة به ، وعبرت عن فرحها وابتهاجها بهذا ، أثناء تسبيحتها في بداية زيارتها للقديسة أليصابات ، فقالت : « تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى » (لو ١ : ٤٦) .

ولا ننسى أن نشير إلى ما قاله الكتاب المقدس ، عن ابتهاج القديس يوحنا المعمدان ، وهو في بطن أمه ، نظراً لحمل العذراء بالمسيح ووجوده في بطنها ، أثناء زيارتها لأمه القديسة أليصابات ، وهذا ما أعلنته القديسة أليصابات ، في وجود السيدة العذراء في بيتها بقولها : « هوذا حين صار صوت سلامك في أذنى ، أرتكض الجنين بابتهاج في بطنى » (لو١ : ٤٥) .

ومع ذلك عبرت الملائكة بفرحتها وابتهاجها ، بسبب بشارة العذراء مريم بحبلها وولدتها للمسيح ، وعن ما يقدمه من نعم للبشرية ، وهذا يتضح لنا مما قاله الملاك للرعاة : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم في مدينة داود ، مخلصٌ هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ -١١) .

ولذا أيها الأحباء عبرت المسيحية والكنيسة ، عن فرحتها وابتهاجها ، بمجيء المسيح في الجسد ، وما قدمه ويقدمه من عطايا روحية للبشر ، ولذلك تحتفل بعيدين وهما :

فأولهما عيد البشارة : فيه بشر رئيس الملائكة جبرائيل العذراء مريم ، بحبلها وولادتها للمسيح (لو ١ : ٢٦ - ٣٨) .

وثانيهما عيد الميلاد المجيد : فيه ولد المسيح بالجسد ، أو تجسد من العذراء مريم ، بواسطة الروح القدس ، وهذا ذكره الرسول بولس : «عظيمٌ هو سر التقوى ، الله ظهر في الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) .

ألا أن فرحة وابتهاج المسيحية والكنيسة ، بعيدى البشارة والميلاد ، لم تكن قاصرة على العطايا الروحية لكل منهما ، وإنما تمتد إلى ما قدمه المسيح من فداء (مت ٢٠ : ٢٨) ، (مر ١٠ : ٤٥) ، (١ تى ٢ : ٦) ، وخلاص العالم أجمع ، وللمؤمنين به بصفه خاصه (يو ٤ : ٢٤) ، (١تى ٤ : ١٠) ، (أع ٤ : ١٢) .

حتى وأن كان يا أخوتى يتزامن مع عيد الميلاد ، هذا العام ، الأثار الضارة التي لوباء كورونا ، على نواحى كثيرة من الحياة ، ألا أن إيماننا بعيد الميلاد وعطاياه ، قادر أن يعالج هذه الأثار الضارة ، ويرفع هذا الوباء دون رجعه مرة ثانية .

وإيماننا بالله ، وبعيد ميلاد السيد المسيح ، الذى يملئ قلوبنا ، ويسندنا في وقت المحن والأوبئة :

٥- يعطينا السلام والطمأنينة .

من المعروف يا أخوتى ، أن السلام كان ولا يزال شعاراً روحياً جميلاً ،أنشدته الملائكة ، أمام مولود بيت لحم : « مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » (لو ٢ : ١٤) .

ومن هذا الشعار السمائى ، الذى أنشد به الملائكة ، يوم ميلاد المسيح وأمامه ، تقصد به أن المولود ، هو الله المتجسد ، هو : « أله السلام » (رو ١٥ : ٣٣) ، (رو ١٦ : ٢٠) ، « ورئيس وملك السلام » (أش ٩ : ٦) .

وأنه واهب السلام بصفاته الربانية ، وأعماله وعجائبه ، وتعاليمه السامية ، ونعمه المجانية التي قدمها ، ولا يزال يقدمها بحب وبدون تفرقه بين الناس ،معبراً عن كل هذا بقوله : « سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم أعطيكم ، لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » (يو ١٤ : ٢٧) .

كما أن المسيح أوصى تلاميذه ، بأن يكون مقدمة أحاديثهم وكرازتهم وخدمتهم ، تبدأ بالسلام : « وأى بيتٍ

دخلتموه ، فقولوا اولاً سلامٌ لهذا البيت . فأن كان هناك أبن السلام ، يحل سلامكم عليه ، وألا فيرجع اليكم » (لـو ١٠ : ٥ – ٦) ، (مت ١٠ : ١٢ – ١٣) .

لذلك من أهمية السلام في كل جوانب الحياة ، طوبى صانعيه ، وأسماهم بأبنـاء الله : « طـوبى لصـانعى السـلام ، لأنـهم أبناء الله يدعون » (مت ٥ : ٩) .

ومن هنا تجدوا أن الإنجيل وتعاليمه ، أطلق عليه : « إنجيل السلام » (أف ٦ : ١٥) .

وهكذا في بداية كل رسالة ، من رسائل العهد الجديد ، تبدأ بـالعبـارة الآتيـة : « نعمـة لكـم وسـلام مـن الله أبينـا ، والرب يسوع المسيح » .

كما أوصانا المسيح ، أن : « نعيش بالسـلام » (٢كـو ١٣ : ١١) ، ونتعبـه مـع القداسـة ، لكـى نعـاين الـرب : « اتبعوا السلام مع الجميع ، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب » (عب ١٢ :١٤) .

هناك جانب أو ملحوظة هامة ، من الملاحظات الخاصة بميلاد السيد المسيح ، هي :

٦- تقديم التسابيح والتماجيد لله المتجسد ، والمولود في بيت لحم .

وبدء بهذا العمل الملائكة بعد ولادته ، لكى يكشفوا عن شخصية المولود ، وتقـديم العبـادة لـه ، حتـى أن مـلاك ، ظهر للرعاة وطمأنهم قائلاً لهم : « لا تخافوا ، فها أنا أبشركم بفرح عظيم ، يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليـوم ، في مدينة داود مخلصٌ ، هو المسيح الرب » (لو ٢ : ١٠ -١١) .

فالملاك كشف من حديثه مع الرعاة ، على أن المسيح المولود في بيت لحم ، أنـه هـو المخلـص المسـيح الـرب ، الذى يجب أن تقدم إليه العبادة .

وأعطاهم علامة على ذلك ، بأنه هو الطفل المقمط ، المضطجع في مذود وأثناء ذلك الحديث : « ظهـر بغتـةً مـع الملاك ، جمهورٌ من الجند السماوى ، مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالى ، وعلى الأرض السـلام ، وبالنـاس المسرة » (لو ٢ : ١٣- ١٤) .

فتقديم الملائكة العبادة له ، من خلال التسبيح والتمجيد لمولود بيت لحم ، اتضح انه هو الله الظاهر فـي الجسـد ، والتي قدمت له التسابيح والتماجيد من قولهم : « مسبحين الله قائلين : المجد لله في الأعالى ، وعلى الأرض السـلام ، وبالناس المسرة » .

ولم يكتفى الملائكة ، في تقديم عبادتهم له من خلال التسابيح والتماجيد ، بل قدموا له معها السجود ، كمـا أشـار القديس بولس في رسالته للعبرانيين بقوله : « متى أدخل البكر إلى العالم ، يقول ولتسجد له ، كل ملائكة الله » (عب ١ : ٦) . وهذا هو الذى يشار إليه ، في البولس ، الذى يقرأ ، في ليلة العيد .

فلنتذكر في ليلة العيد ، ما قام به الملائكة من تقديم العبـادة لله المتجسـد ، مـع أبيـه الصـالح والـروح ، يجب أن نكون حرصين ومداومين ، أن نعبده بالروح والحق ، لا باللسان والكلام .

نختم حديثنا ، بجانب أخير ، في موضوعنا ، وهو :

٧- تقديم القرابين للمسيح .

وهذا كان واضحاً ، فيما فعله المجوس معه ، وقت أن علموا مولده ، جاءوا إلـى بيـت لحـم ، بقيـادة الـنجم الـذى كان يتقدمهم نـهاراً وليلاً ، إلى أن وصوا إلى البيت ، وقدموا له هداياهم أو قرابينهم وسجدوا له ، كمـا ذكـر الكتـاب : « ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ، ذهباً ولباناً ومراً » (مت ٢ : ١١) .

وهذه القرابين التي قدمها المجوس للمسيح ، تشير كل منها ، إلى إشارات معينة وهى كالآتي :

أ – فالذهب : يشير إلى الملك ، لذلك قدموا له ذهباً ، لأنــه ملـك الملـوك ورب الأربـاب (١تـى ٦ : ١٥) ، (رؤ ١٧ :١٤) ، (رؤ ١٩ : ١٦) .

ب – واللبان : يشير إلى كهنوت المسيح ، لذلك لكونه كاهناً (عب ١٠ : ٣١) ، ورئيس كهنـة (عب ٩ : ٧ ، ٢٥) ، قدموا له هذا اللبان .

جـ - المر : يشير إلى آلام وصلب المسيح وموته ، حتى انهم ساقوه خلاً وهو على الصليب (مت ٢٧ : ٣٤ ، ٤٨) ، (مر ١٥ : ٣٦) ، (يو ١٩ : ٢٩ – ٣٠) . ومن هنا قدموا له مراً .

وهذه الهدايا أو هذه القرابين ،التي قدمها المجوس للمسيح ، سبق وأنبأ بها الكتاب المقدس ، في سفر أخبار الأيام الأول فقال : « أحملوا هدايا ، وتعالوا أمامه ، أسجدوا للرب ، في زينه مقدسة » (أي ١٦ : ٢٦) .

ويؤكد على سفر المزامير ، على تقديم المجوس القرابين للمسيح ، فيذكر : « انذروا وأوفوا للرب ألهكم ، يا جميع الذين حوله ، ليقدموا هدية للمهوب » (مز ٧٦ : ١١) .

فلتذكر في هذا العيد ، أن نقدم قرابيننا لله : « ذبائح روحية مقبولة » (١بط ٢ : ٥) . لأن أوصانا بهذا : « لا تنسوا فعل الخير والتوزيع ، لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله » (عب ١٣ : ١٦) .

ويؤكد الكتاب المقدس ، على أهمية فعل الخير مع جميع الناس ، وسوف يكأفنا الله عنه في الوقت المناسب : « فلا نفشل في عمل الخير ، لأننا سنحصد في وقته ، أن كنا لا نكل . فإذا حسبما لنا فرصةٌ ، فلنعمل الخير للجميع ، ولاسيما أهل الإيمان » (غل ٦ : ٩ - ١٠) .

وكل عام وأنتم جميعاً بخير
لإلهنا المجد الدائم إلى أبد الأبدين ،،

تحريراً فى ٧ / ١ / ٢٠٢١ م

بنعمة الله
الأنبا أغاثون
أسقف كرسى مغاغه والعِدوه
ورئيس رابطة خريجى الكلية الإكليريكية